

القبط وما يحب عليهم

نحو هذه اللغة

لغير قابل

لاموضع للجدل واللاحاجة في أن لغة أهل مصر: سليم وقبطيهم هي اليوم لغة المريمية . ثم انه كانت لهم قبل الفتح العربي لغتهم المصرية وهي التي اصطلحنا اليوم على تسميتها « اللغة القبطية » وقد رافقهم ثلاثة آلاف سنة أو أربعة آلاف ، بل بقيت لساناتهم حتى بعد الفتح بعشرة قرون . ولكن اللغة المريمية كانت تزحزح عنها شيئاً شيئاً عن مواضعها في دواوين الحكم ثم في سائر مراحل الحياة إلى ان تركتها محصوره في الكائني وما يحسن ذكره في هذا الشأن ما قاله المرحوم السيو سبرو العلام الأثري في خطبة خطبها في نادي رسبيس في ١٩ نوفمبر سنة ١٩٠٨ وهو : -

« من المؤكد ان سكان مصر كانوا يتكلمون ويكتبون باللغة القبطية حتى الزمن الأولي من القرن السادس عشر في أوائل حكم الترك ... ولم يمض بعد ذلك قرن ونصف قرن حتى قدم الى مصر ساع فرنسى يدعى فالسليب في أيام لويس الرابع عشر فقدم اليه آخر تبس نبطي بحيد النكلم باللغة القبطية وعجوز كانت تمازحه هذا الاشتياز »

وليس المراد من قوله ان اللغة المريمية هي لغة مصر القديمة او يقللوا من نظامهم في الثانية بما يبرهن من اعتقاد كثير من علماء اوروبا بشركتها وتأليف مجامعتها ، فلها جذارة بالغة ولها كانت المذاق الذي نك في ذلك به العلامات شهاب الدين رموز الكتابة الهيلوغريفية على حجر رشيد وبالتالي كان لها الفضل الأول في نفس اختفاء المضاربة الفرعونية وأماملة اللام من وجه المدنية المصرية التي لا زالت آثارها موضع خلاف المصريين وسبب بها هم بالاشتراك الى اوكلا الأجداد

ولكنني أعني بقولي هذا ان اللغة القبطية لم تند - ولن تعود - لغة الأم والبيت والمدرسة والمكتب والمصنع والمنجر والمزرعة لأن اللغة المريمية قامت مقامها في ذلك جيئه . وبات لهذه على القبط حق في ان يخذلها ويأروها مواطنיהם في التطلع منها والتفوق فيها

ـ ولا أجهد ان القبط يتلقون اللغة المريمية في المدارس ومحظوظون بمحوها وصرفها ويقرأون

ويمكترون ويختصرون بـ «جـ ١٤» وإن قرراً منهم بمجدهـاـ غيرـاـنـ القـاتـاعـةـ هـذـاـ القـدوـ دـونـ الـاستـزـادـةـ هـمـ هـيـ هـيـ أـرـدـتـ أـنـ بـهـ الـأـدـهـانـ أـنـ مـاـ فـيـهاـ مـنـ خـطاـنـ .ـ وـاـلـ كـثـيرـنـ غـيـرـيـ شـرـواـ مـنـ بـالـمـوـافـقـ لـلـرـيـةـ هـذـاـ اـخـسـلـ حـرـيـاـ أـنـىـ بـحـجـمـ نـوـادـ الـأـوـلـ لـلـفـةـ الـمـرـيـةـ وـلـمـ بـمـجـدـ الـمـؤـوـلـوـنـ (ـعـلـاـ)ـ قـطـيـباـ رـاحـدـاـ يـ هـذـهـ اللـهـ قـبـاـ بـاـنـ يـضـمـوـهـ إـلـىـ أـعـصـائـهـ الـمـصـرـيـنـ وـالـأـجـانـبـ

ويـلـوحـ لـيـ أـنـ عـلـةـ تـحـلـفـ الـقـطـطـ فـيـ هـذـاـ الـبـداـنـ هـيـ أـنـهـ اـكـفـواـ مـنـ الـفـةـ الـمـرـيـةـ هـاـ يـكـفـلـ لـمـ كـبـ عـيـشـ الـيـومـ .ـ وـلـكـنـمـ حـقـ فـيـ هـذـاـ الـجـالـسـ الـشـيـقـ كـانـ مـحـصـولـمـ دـونـ الـكـفـاـيـةـ .ـ سـنـقـدـنـ أـنـ الـاـقـطـاعـ لـاـقـطـاعـ الـفـةـ الـمـرـيـةـ اوـ السـقـقـ فـيـ دـرـسـاـ لـتـوـسـ عـلـ درـرـهاـ وـالـوـقـوفـ عـلـ أـسـرـارـهاـ لـيـسـ ضـرـورـيـاـ لـاـسـتـدـرـارـ أـخـلـافـ الرـزـقـ .ـ وـهـذـاـ هـوـ مـوـضـعـ الـحـطـاـ فـلـمـادـةـ لـيـتـ كـلـ شـيـ .ـ فـيـ الـلـيـةـ الـحـيـةـ الـتـيـ يـجـبـ اـنـ تـجـاـهـاـ الـأـمـ «ـ وـلـيـسـ بـالـجـزـ وـحـدـهـ يـعـاـ الـإـنـسانـ »ـ بـلـ هـذـاـ الـطـمـوـحـ الـأـسـكـنـ .ـ وـهـذـاـ لـهـذـةـ الـلـمـ لـذـاهـ .ـ وـهـنـاكـ التـخـصـ لـلـخـدـمـةـ وـقـعـ الـجـمـوـعـ .ـ وـمعـ ذـكـرـ ذـلـكـ لـيـسـ أـبـدـ عـنـ الصـوابـ مـنـ قـوـلـ الـفـالـلـيـنـ اـنـ الـبـوـغـ فـيـ الـفـةـ الـمـرـيـةـ لـيـسـ سـوـرـدـأـ لـلـأـرـزـاقـ .ـ فـتـحـنـ فـيـ عـمـرـ تـصـتـ فـيـ الـأـمـ الـمـصـرـيـةـ وـالـأـمـ الـمـرـيـةـ شـوـطـاـ بـيـدـاـ فـيـ مـيـدانـ اـرـقـيـ الـتـكـرـيـ وـبـيـنـاعـتـ عـلـىـ الزـنـ عـدـدـ الـمـتـلـعـيـنـ وـبـذـكـرـ تـقـعـ آـقـاقـ الـأـمـ بـرـوـاجـ بـتـاعـةـ الـأـدـبـ الـمـرـيـيـ بـيـنـ هـذـهـ الـأـمـ

وـقـدـ بـطـلـ بـعـضـمـ عـدـمـ عـكـنـ الـقـطـ منـ نـاسـيـ الـفـةـ الـمـرـيـةـ بـأـنـ أـبـوـابـ الـأـزـهـرـ الشـرـيفـ لـاـ قـطـعـ لـمـ ،ـ فـقـلـ مـؤـلـمـ يـذـوـتـمـ اـنـ فـيـ كـلـيـةـ الـأـدـابـ فـيـ الـجـامـعـةـ الـمـصـرـيـةـ قـيـاـ لـلـتـخـصـ فـيـ الـفـةـ الـمـرـيـةـ يـقـيلـ فـيـ الـمـصـرـيـوـنـ بـلـ فـارـقـ .ـ وـيـغـوـتـمـ أـكـثـرـ مـنـ هـذـاـ اـنـ عـلـمـاءـ الـفـةـ الـمـرـيـةـ فـيـ مـصـرـ وـسـوـرـاـ وـقـلـمـيـنـ وـالـمـرـاقـ وـبـلـادـ الـمـهـرـ لـيـسـوـ كـلـهـ مـنـ تـلـمـيـذـ الـأـزـهـرـ الشـرـيفـ وـلـاـ تـخـرـجـوـاـ فـيـ كـلـيـةـ الـفـةـ الـمـرـيـةـ اوـ فـيـ دـارـ الـلـوـمـ

فـأـحـدـ شـوـقـيـ وـالـشـيـخـ عـمـدـ الـخـضـرـيـ وـأـحـدـ ذـنـانـيـ وـخـلـيلـ سـطـرانـ وـبـشـارـةـ الـمـوـرـيـ وـالـأـبـ الـسـانـ الـكـرـبـلـيـ وـالـمـرـحـومـ الـدـكـنـورـ صـرـوـفـ وـالـدـكـنـورـ فـارـسـ غـرـ بـاشـاـ وـفـيـرـمـ مـنـ أـعـلـمـ الـفـةـ فـيـ هـذـاـ الـقـرـنـ وـالـقـرـنـ الـلـاـئـيـ لـمـ يـطـلـأـعـةـ الـأـزـهـرـ وـلـكـنـمـ بـلـغـواـ أـرـفـعـ مـرـاتـ الـاجـادـةـ فـيـ الـفـةـ بـرـأـ وـأـظـلـاـعـاـ تـلـفـوـهـ مـنـ مـادـهـاـ فـيـ الـمـدارـسـ وـمـاـ أـشـافـهـ إـلـيـهاـ .ـ نـاجـ تـحـصـلـمـ الشـخـصـ

وـمـنـ الـفـرـيـبـ اـنـ ظـهـرـ مـنـ الـقـطـ فـيـ الـقـرـنـ الثـالـثـ عـشـرـ الـمـلـادـيـ غـيـرـ وـاـحـدـ مـنـ جـهـاـذـةـ الـفـةـ الـمـرـيـةـ كـأـبـاءـ الـمـسـائـلـ .ـ ثـمـ نـصـبـ مـيـنـ هـذـاـ الـبـوـغـ بـقـاهـ .ـ وـلـمـ لـسـعـ بـدـمـ بـأـنـ خـدـمـ بـلـغـ مـدـاـمـ اـذـاـ أـسـتـبـنـتـاـ بـخـاـيـلـ عـدـالـيـدـ وـنـادـرـسـ وـهـيـ فـيـ بـيـنـ الـقـرـنـ الـلـاـئـيـ وـبـطـلـعـ الـقـرـنـ الـلـاـئـيـ بـعـدـاـ بـعـدـ عـلـىـ أـسـابـعـ الـبـدـاـ وـاـحـدـةـ مـنـ الـفـنـ أـمـلـهـ سـلـوـمـيـهـ تـدـرـيـسـ الـفـةـ الـمـرـيـةـ فـيـ الـمـدارـسـ الـمـرـةـ

واباً جهد ما وصلنا اليه ان الذين خلوا نظمهم من اللحن وتركتهم كاتبهم عن السقوف والركاكة ليسوا الا حسنة صغيرة . أما سنظم الذين يقرأون ويكتبون منا ، فلتتهم أقرب إلى الجنة منها إلى الارضية ، حتى ان الدكتور مهـ حسـين بـكـ لم يـسمـعـ الاـ انـ يـشـيرـ إـلـىـ لـاحـظـةـ عـلـىـ رـجـالـ الدينـ الـقـطـطـ منـ الـتـصـورـ فـيـ هـذـاـ الـبـابـ فـيـ قـمـلـ رـجـبـ انـ يـقـرـأـ الـقـطـ فيـ كـتـابـ «ـ مـسـقـلـ الـنـفـافـةـ فـيـ مـصـرـ »

وكم حز في فسي ما قرأته في عدد من أعداد مجلة المصور المرأة عن عضو قبطي محترم في أحد مجلدي البرنامج المصري وهو قوله «ـ حـدـاـ لـوـ كـانـ لـهـ الـخـطـيبـ لـهـ عـرـوـةـ مـصـوـرـ بـحـوـراـ وـصـرـفـهاـ وـنـصـبـهاـ وـرـقـهـاـ » مع ان هذا المعنـو المحترم منقف ثقافة عالية

ومن تحصيل الحاصل ان أصف مجال اللغة العربية وعمرها وسموها وغناها بالمان العائمة والجال الراتي وما فيها من قول سري سجز ومن ضروب الكلام البلع والقصيدة المرقع . علاوة على ان المرء ملحوظا بكلامه شؤون الحياة واختباراتها ونوازع النفس اىـ بهـ وخطـرـاتـهاـ وارـقـواـ فيـ كلـ ذـلـكـ إـلـىـ سـاطـ الـأـفـلـاكـ وـسـنـاـ وـتـحـيلـاـ وـاستـبـاطـاـ

وحيـيـ أنـ أحـيـلـ التـارـيـ إلىـ أـعـلامـ كـثـيـرـاـ وـعـيـونـ مـعـتـفـاتـهاـ كـجـلـاسـةـ وـتـكـامـلـ وـالـأـعـمالـ وـالـيـالـ وـالـتـيـنـ وـالـقـدـرـ وـالـفـرـيدـ وـالـأـغـانـيـ وـتـبـعـ الـبـلـاغـةـ وـأـسـرـارـ الـبـلـاغـةـ وـدـرـاـءـ الـجـعـرـيـ وـأـبـوـغـامـ وـالـنـيـ وـالـأـخـطـلـ وـشـوـقـ وـحـانـظـ وـأـصـحـابـ الـمـلـقـاتـ وـالـجـمـهـرـاتـ وـعـشـراتـ الشـمـاءـ فـيـ الـجـاهـلـةـ وـالـإـسـلـامـ وـفـيـهـ مـنـ أـفـانـينـ النـزـ وـالـنـظـمـ مـاـ يـقـوـمـ الـلـانـ وـيـكـسـ حـسـنـ الـيـاثـ وـبـولـيـ الـمرـهـ الـاجـادـةـ فـيـ التـسـيـرـ وـالـتـبـرـيزـ فـيـ الصـنـيـفـ وـالـتـعـيـرـ وـيـرـثـ مـكـانـ الصـدرـ مـنـ لـهـ الـكـلامـ وـفـوـارـهـ الـكـتـابـ وـحـلـةـ الـأـفـلـامـ يـنـعـاـقـ بـالـحـكـمـ وـيـكـشـفـ عـنـ عـلـوـ الـهـمـةـ يـاـ رـوـيـ مـنـ دـوـانـ الـأـدـبـ الـعـربـيـ وـبـمـجـمـلـهـ حـجـةـ فـيـ أـصـولـ الـلـهـ وـنـفـةـ يـرـجـعـ إـلـيـهـ فـيـ قـرـاءـدـحاـ وـبـمـوـلـ عـلـيـهـ فـيـ تـقـيـدـ شـوارـدـهـ

وـبـلـوـغـ هـذـهـ الـرـبـاقـ مـرـقـةـ الـلـهـ الـعـربـيـ وـالـبـاحـثـ فـيـ عـيـطـاـ الـخـمـ لـاـ يـسـرـانـ للـطـالـبـ فـيـ سـيـ الـدـرـاسـةـ بلـ أـهـلـ يـتـفـرـانـ بـالـتـارـيـهـ عـلـىـ الـمـطـالـعـ وـالـبـحـثـ وـالـأـسـتـظـارـ . وـمـنـ طـلـبـ الـمـلاـسـرـ الـبـالـيـ . وـمـنـ خـطـبـ فـيـ الـلـهـ الـعـربـيـ أـمـرـهـ الـمـهـرـ الـفـالـيـ . وـمـاـ يـنـعـيـ عـلـمـاءـ الـلـهـ الـعـربـيـ فـيـ جـيـعـ الـمـعـودـ الـأـ

بـالـكـ وـأـفـاءـ الـقـوىـ فـيـ الـاتـقـاسـ وـالـاتـنـاسـ وـرـوـاـيـةـ أـجـودـ الشـمـ وـأـرـقـ النـوـ

فـالـلـيـ أـوـدـهـ أـنـ يـقـنـعـ بـهـذـهـ الـلـهـ أـضـافـ مـاـ أـرـاءـ مـنـ هـذـهـ الـلـهـيـةـ وـانـ يـرـدـ شـهـرـ فيـ عـلـومـهـ وـآدـابـهـ وـقـوـنـهـ وـتـارـيـخـهـ عـشـرـاتـ وـمـئـاتـ حـتـىـ لـاـ تـقـنـ يـهـ الـظـفـونـ وـلـاـ تـوـجـهـ إـلـيـهـ غـزـاتـ الـبـيـونـ وـلـاـ يـقـالـ أـنـهـ فـيـ هـذـاـ الـبـيـانـ مـاجـزـونـ اوـ مـتـخـلـقـونـ

وـاـذـاـ وـضـعـ الشـيـانـ مـنـهـ نـصـ عـبـرـتـمـ الـسـيـاحـارـ فـيـ الـلـهـ الـعـربـيـ وـبـلـقـواـ الـلـهـيـةـ مـنـ ذـلـكـ قـائـمـ

يعلم هذا لا يخدمون أنفسهم وخدعوا بل يخدمون الوحدة الوطنية وبعززون الرابطة القومية إن من فقط كثيرون يجيدون الكلام والكتابية والتأليف باللغتين الإنجليزية والفرنسية وأصحابها يتقن اللغة الإبطالية أو الأنانية، واتما نطلب تلزيم من هؤلاء « فكل لسان بالحقيقة لسان » . ولكن علام يدل هذا يا ترى . انه يدعي على ان في مقدور النبط ان يجيدوا اللغة الإنجليزية الأولى وهي اللغة التي رافق المرء من المهد الى الاعد

وللشأن قدوة حسنة وأسوة طيبة بصاحب العادة واصف غالى بما فاته لم يكفي بما كشف من كثوز اللغة الفرنسية بل وأضاف الى ذلك انه قتل بعض هذه الكثوز الى لائحة الفرنسية بمؤلف شهر نال من أوجه اكرام المصريين أحجى في حلقة أقيمت له في سنة ١٩٠٦ . وفي هذه الحلة قال أحمد شوقي :

إنما « واصف » بناته من الأخلاق في دولة الشارق عال
واهب المال والشباب لما ينفع لا للهوى ولا للإخلال
ومذيق القول في الغرب ما عصر العرب في السين الموالي
في كتابه حوى المحسن في الشهر وأوعى جراثي الأمثال
من نسبة خواص العبد منه ترك الحسن او شاك الدلال
وتنظيم كأنه ذلك البطل اذا لاح وهو بالزمر حاذ
ويبيان كما تجيئ على الر سل تجيئ على رعاه الضار
ما علينا انفهم من لسان زال أهله وهو في إندال
بل يت هاشم وبادت زوار والسان الدين ليس يال
كلا هم محمد بروال قام فعل خال دون الزوال

الى أن قال : —

يا عباب الديار مصر اليك ولواه العرين للأبنال
كلا دومنت بشبهة يأس جلتكم معاقل الآمال
حيثما لا يليق بمنف وذكركم الآثار والاطلال
حيثما لا أراد (علي) وتعنى على الظبي والموالي
وأنهمروا ببضعة التسوب لدينا وجاء كثيرة الانتفال
والي الله من شئ بصلب في يديه ومن شئ بهلاك